

البداية والنهاية

كنيسة القدس وهي قمامة وكنيسة الرها وسائر آثار الروم فبعث ملك الروم إليه صناعا كثيرة جدا مائتي صانع وكتب إليه يقول إن كان أبوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فإنه لوصمة عليك وإن لم يكن فهمه وفهمت أنت لوصمة عليه فلما وصل ذلك إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك واجتمع الناس عنده لذلك فكان فيهم الفرزدق الشاعر فقال أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله قال الوليد وما هو ويحك فقال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلمنا وسليمان هو ابن داود ففهمه الله ما لم يفهمه أبوه فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جوابا إلى ملك الروم وقد قال الفرزدق في ذلك ... فرقت بين النصارى في كنائسهم ... * والعابدين مع الأسفار والغنم ... وهم جميعا إذا صلوا وأوجههم ... * شتى إذا سجدوا ... والصنم ... وكيف يجتمع الناقوس يضربه ... * أهل الصليب مع القراء لم تنم ... فهمت تحويلها عنهم كما فهمنا ... * إذ يحكمنا لهم في الحرث والغنم ... داود والملك المهدي إذ جزأ ... * ولادها واجتاز الصوف بالعلم ... فهمك الله تحويلا لبيعتهم ... * عن مسجد فيه يتلى طيب الكلم ... ما من أب حملته الأرض نعله ... * خير بنين ولا خير من الحكم قال الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقي بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمك الحيطان وقال الحسن بن يحيى الخشني إن هودا عليه السلام هو الذي بنى الحائط القبلي من مسجد دمشق وقال غيره لما أراد الوليد بناء القبة التي وسط الرواقات وهي قبة النسرة وهو إسم حادث لها وكأنهم شبهوها بالنسرة في شكله لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماء عذبا زلالا ثم إنهم وضعوا فيه زيادة الكرم وبنوا فوقها بالحجارة فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فسقطت فقال الوليد لبعض المهندسين أريد أن تبني لي أنت هذه القبة فقال على أن تعطيني عهد الله وميثاقه على أن لا يبنيتها أحد غيري ففعل فبنى الأركان ثم غلفها بالبوارى وغاب عنها سنة كاملة لا يدري الوليد أين ذهب فلما كان بعد السنة حضر فهم به الوليد فأخذه ومعه رؤس الناس فكشف البوارى عن الأركان فإذا هي قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض فقال لهك من هذا أتيت ثم بناها فانعقدت .

وقال بعضهم أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن هذا البناء فقال له المعمار إنك لا تقدر على ذلك فضربه خمسين سوطا وقال له ويلك أنا لا أقدر على ذلك وتزعم أنني أعجز عنه وخراج الأرض وأموالها تجبى إلي قال نعم أنا أبين لك ذلك قال فبين